



اجتمع مجلس العموم البريطاني منذ سنتين في بريطانيا للتصويت على قرار المشاركة بعمل عسكري ضد بشار الأسد، وقليل من المراقبين يومها هم الذين توقعوا أن نتائج هذا التصويت - الذي تم بعد أسبوع من هجوم الدكتاتور السوري بالسلاح الكيماوي على موقع المعارضة الشعبية السورية - ستكون له آثار كارثية على المنطقة وتكليف باهظة ستدفع ثمنها.

قام إد ميلباند زعيم حزب العمال البريطاني وذلك في سعيه لطرد شبح توني بلير ولتحقيق مكاسب سياسية بجمع الأصوات الكافية لنقض قرار الحكومة البريطانية في المشاركة في أي عمل عسكري ضد بشار. لقد ولد هذا التصويت يومها ترداً عند الرئيس الأمريكي باراك أوباما إزاء أي عمل عسكري تأديبي ضد نظام الأسد وما تلا ذلك من أحداث - أصبحت كما يقال - تاريخاً معروفاً، ويا له من تاريخ!!!

أربعة ملايين لاجئ، وستة ملايين مهجر داخل سوريا، وأكثر من ثلاثة ألف شهيد مدني؛ قتل معظمهم بأسلحة تقليدية على يد قوات الأسد المجرمة. كل ذلك يعطيكم بعض التصور عن الحقيقة الكاملة للأحداث.

لقد وصل صدى هذا القرار إلى أماكن أبعد من مصدر الواقعية نفسها:

فلقد شعر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين أنه بإمكانه استغلال افتقار الغرب للحزم ليمارس سياسته التوسعية في أوكرانيا،

وتم استغلال الحدث في الرقة حيث كان تنظيم ما يسمى بالدولة ضعيفاً لتعزيز خطابهم الإعلامي القائم على فكرة: "أن الغرب والنظام السوري ومعه حلفاؤه الإيرانيين الشيعة يعملون مجتمعين لهزيمة وإذلال العرب السنة في المنطقة". إنه لمن الصعوبة بمكان أن تحاول شرح حقيقة ما يجري في الأروقة الداخلية للسياسة البريطانية للمدنيين الغاضبين والمصدومين في ضواحي دمشق.

لقد وقع الشعب السوري فريسة بين تراخي الغرب، وجنون العظمة عند بشار، وطموحات إيران الإمبريالية، ووهم روسيا بالتأثير للحرب الباردة، ووحشية داعش وجنونها، هذا الشعب الذي لم يخرج في ثورته إلا طلباً للحرية والكرامة والحياة السعيدة. إننا في حركة أحرار الشام ومع باقي الفصائل الثورية المسلحة ما خرجنَا إلا دفاعاً عن شعبنا، وما حملنا السلاح إلا عندما خيرنا بين الاستسلام غير المشروط للنظام الأسد وبيان القتال لنيل حرية شعبنا فاختارنا ما اختاره شعبنا.

على الرغم من أن روح الثورة التي عايشناها في أيامها الأولى لا تزال كامنة فينا إلا أنها أدركنا أنه كلما طال زمان النزاع لن يبق لنا ما ننقد في سوريا. إننا نعمل في حركة أحرار الشام على إسقاط النظام بكل رموزه ومؤسساته، وإلهاق هزيمة نكراء بتنظيم ما يسمى بالدولة، وتأسيس حكومة تمثل السوريين في دمشق تضع البلاد على بداية مسار السلام والتعافي الاقتصادي. نريد أن نرى نظاماً سياسياً يحترم هوية الأغلبية في سوريا وتطوراتها السياسية المشروعة، ويوفر للأقليات دوراً إيجابياً في مستقبل سوريا. نريد أن نضمن وحدة التراب السوري، ونضع حدًّا لتوارد الميليشيات الأجنبية على أراضينا.

لقد أدركنا أن رؤيتنا هذه لا يمكن أن تتحقق بوسائل عسكرية فحسب، إذ لا بد من عملية سياسية متزامنة معها، وهذا يعني أنه قد يتوجب علينا اتخاذ قرارات صعبة، لكن دون مساومة على الثوابت وال المسلمات:

1. يجب على الأسد وعصابته المجرمة ورموزه الرحيل عن سدة الحكم.
2. يجب القيام بعملية جذرية لإعادة بناء كل من الجيش والمؤسسات الأمنية.
3. نرفض أي نوع ووصاية أو نفوذ لإيران في سوريا، ولا تعنينا أي اتفاقيات سرية تمت مع "آيات الله" على هامش الاتفاق النووي فيما يخص قتال داعش.

في الأيام الماضية صرخ رئيس الوزراء البريطاني ديفيد كامرون عن نية بلاده تغيير سياستها إزاء أي تدخل عسكري في سوريا، وذكر أن بريطانيا "سترفع مستوى الأداء، وتقوم بال المزيد" فيما يخص قتال داعش في العراق وسوريا. نحن في حركة أحرار الشام قد فقدنا ما يقارب (٧٠٠) مقاتل في حربنا مع داعش، ونربط حالياً مع حلفائنا على الأرض على جبهات مواجهة لهم تمتد حوالي (٤٥) كيلومتر في محافظة حلب. إننا نعي تماماً ماذا يعني مواجهة تهديد داعش، ولكن ما يجب أن يدركه كامرون هو أن تقويض مصالح السنة في المنطقة لصالح إيران وحلفائها سيزيد من قوة داعش، وقدرتها على التوسيع. نعتقد أن داعش لا تمثل تهديداً أمنياً وعسكرياً فحسب، بل هي ظاهرة اجتماعية وفكرية يجب أن يتم مواجهتها على مختلف المستويات، وهذا يتطلب بدليلاً سنيناً في سوريا يحل محل النظام وداعش في نفس الوقت.

إن حركة أحرار الشام - كفصيل إسلامي سني من الأغلبية - له حضور قوي وفعال في المشهد الثوري يقوم على بناء هذا البديل، ولكن هذا البديل - بالتأكيد - لن يكون وفق المعايير الغربية الليبرالية. كما نعلم جميعاً، فإن الأنظمة السياسية ونماذج الحكم لا يمكن استيرادها إلى الشرق الأوسط، وأن يكتب لها النجاح والازدهار، فهناك تجارب تاريخية، ونسبياً جتماعي، وثقافة سياسية مختلفة كليةً عن الغرب.

إننا في سوريا نحتاج أن يكون هناك دور أساسى ومحوري للدين في أي نظام سياسى يتولد عن النزاع الذى نعيشه اليوم، وهذا النظام السياسي يجب أن ينسجم مع عقيدة وديانة الأغلبية في سوريا، إن إنشاء أي شرعية سياسية جديدة يحتاج بالضرورة إلى طرح طبيعى وعملى، الأمر الذى كان غائباً عن طروحات المجتمع الدولى إلى الآن.

لقد ضاعت فرصة توجيه ضربة حاسمة للنظام، وإنها النزاع مبكراً منذ سنتين بسبب التصويت الذي قام به إد ميلبياند، وما تلا ذلك من تساهل من قبل المجتمع الدولي السبب الذي جعل الأمور تتجه إلى الأسواء. إن سياسة واشنطن الحالية التي تقوم على تقويض مصالح السنة في المنطقة مقابل التودد إلى إيران سيزيد من صعوبة هزيمة داعش، وإنها نظام الأسد، وتحقيق حل سياسي. وبينما تستعد القوات الجوية البريطانية لمشاركة التحالف في قتال داعش في سوريا، فإن على الحكومة البريطانية أن تدرك أن هزيمة تنظيم الدولة يتطلب أموراً أكثر من مجرد إلقاء القنابل عليهم.

ترجمة عن صحيفة التليغراف لمقال لبيب النحاس رئيس مكتب العلاقات الخارجية بحركة أحرار الشام الإسلامية

المصادر: